

نتأهل القرآن

alwasat.com.kw

6

الخلااء 5 رمضان 1441 هـ/ 28 أبريل 2020 – الستة الثالثة عشرة

Tuesday 28th April 2020 - 13 th year الوسط

قصص الأنبياء

الحلقة
1

كان تقياً صادقاً ودعا قومه 950 عاماً

نوح عليه السلام.. وسفينة النجاة من الطوفان



كان نوح نقيا صادقا أرسله الله ليهدي قومه وينذرهم عذاب الآخرة ولكنهم عصوه وكذبوه، ومع ذلك استمر يدعوهم إلى الدين الحنيف فاتبعه قليل من الناس، واستمر الكفرة في طغيانهم فمنع الله عنهم المطر ودعاهم نوح أن يؤمنوا حتى يرفع الله عنهم العذاب فأمسوا فرقع الله عنهم العذاب ولكنهم رجعوا إلى كفرهم، وأخذ يدعوهم 950 سنة ثم أمره الله ببناء السفينة وأن يأخذ معه زواجا من كل نوع ثم جاء الطوفان فأغرقهم أجمعين.

سيرته

كان نوح كان على الفطرة مؤمنا بالله تعالى قبل بعثته إلى الناس، و كل الأنبياء مؤمنون بالله تعالى قبل بعثتهم، وكان كثير الشكر لله عزّ وجل، فاختاره الله لحمل الرسالة، فخرج نوح على قومه و بدأ يدعوته:يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

حقيقة الألوهية

بهذه الجملة الموجزة وضع نوح قومه أمام حقيقة الألوهية، وحقيقة البعث، هناك إله خالقٌ وهو وحده الذي يستحقّ العبادة، وهناك موت ثم بعث ثم يوم للقيامة، يوم عظيم، فيه عذاب يوم عظيم.

شرح «نوح» لقومه أنه يستحيل أن يكون هناك غير إله واحد هو الخالق، أفهمهم أن الشيطان قد خدعهم زمنا طويلا، وأن الوقت قد جاء ليتوقف هذا الخداع، حدثهم نوح عن تكريم الله للإنسان، كيف خلقه، ومنحه الرزق وأعطاه نعمة العقل، وليست عبادة الأصنام غير ظلم خائن للعقل.

تحرك قوم نوح في اتجاهين بعد دعوته، لمست الدعوة قلوب الضعفاء والفقراء واليوسءاء، وانحنت على جراحهم والآمهم بالرحمة، أما الأغنياء والأقوياء والكبراء، تأملوا الدعوة بعين الشك، ولما كانوا يستفيدون من بقاء الأوضاع على ما هي عليهفقد بدؤوا حربهم ضد نوح.

في البداية اتهموا نوحا بأنه بشر مثلهم: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَأْكُلُ الْإِبْرَآءُ مُثَلِّفًا. فِي هَذَا الصِّدِّدِ قَالَ تَفْسِيرُ الْفَرِطِيِّ: الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قومه هم الرؤساء الذين كانوا في قومه، يسمون الملأ لأنهم ملئون بما يقولون. وقال هؤلاء الملأ لنوح: أنت بشر يا نوح.

رغم أن نوحا لم يقل غير ذلك، وأكد أنه مجرد بشر، والله يرسل إلى الأرض رسولا من البشر، لأن الأرض يسكنها البشر، ولو كانت الأرض تسكنها الملائكة لأرسل الله رسولا من الملائكة، استمررت الحرب بين الكافرين ونوح. تصور الكفرة يومها أن دعوة نوح لا تلبث أن تنطفئ وحدها، فلما وجدوا الدعوة تجتذب الفقراء والضعفاء وأهل الصناعات البسيطة بدؤوا الهجوم على نوح من هذه الناحية، هاجموه في اتباعه، وقالوا له: لم يتبعك غير الفقراء والضعفاء والأراذل.

الصراع بين نوح وسادة قومه

هكذا اندلع الصراع بين نوح ورؤساء قومه، ولجأ الذين كفروا إلى المساومة، قالوا لنوح: اسمع يا نوح إذا أردت أن نؤمن لك فاطرد الذين آمنوا بك، إنهم ضعفاء وفقراء، ونحن سادة القوم وأغنياؤهم، ويستحيل أن نضمننا دعوة

واحدة مع هؤلاء.

واستمع نوح إلى كفار قومه وأدرك أنهم يعاندون، ورغم ذلك كان طيبا في رده، أفهم قومه أنه لا يستطيع أن يطرد المؤمنين، لأنهم أو لا ليسوا ضيوفاً، إنما هم ضيوف الله، وليست الرحمة بيته الذي يدخل فيه من يشاء أو يطرد منه من يشاء، إنما الرحمة بيت الله الذي يستقبل فيه من يشاء.

كان نوح يناقش كل حجج الكافرين بمنطق الأنبياء الكريم الوجه، وهو منطق الفكر الذي يجرد نفسه من الكبرياء الشخصي وهوى المصالح الخاصة.

وقال لهم أنه لا يدعي لنفسه أكثر مما له من حق، وأخبرهم بتذللله وتواضعه لله عز وجل، فهو لا يدعي لنفسه ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه على من يشاء من عباده، وهو لا يعلم الغيب، لأن الغيب علم اختص الله تعالى وحده به، أخبرهم أيضا أنه ليس ملكا. بمعنى

أن منزلته ليست كمنزلة الملائكة.

قال لهم نوح: إن الذين تزدرى أعينكم وتحقر وتستغفل، إن هؤلاء المؤمنين الذي تحقروهم لمن تبطل أجورهم وتضيع لاحترامكم لهم، الله أعلم بما في أنفسهم. هو الذي يجازيهم عليه ويؤاخذهم به، اظلم نفسي لو قلت إن الله لن يؤتيهم خيرا.

وسم الملأ يومها من هذا الجدل الذي يجادلوه نوح.. حكى الله موقفهم منه في سورة (هود): قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَاءَلَنَّاكَ أَفْكُورًا جِدَالِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ ضُحْيِي إِنْ أَزِدْتَ أَنَّ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنَّ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34) (هود)،

وتستمر المعركة، وتطول المناقشة بين الكافرين من قوم نوح وبينه إذا انتشرت كل حجج الكافرين ولم يعد لديهم ما يقال، بدؤوا يخرجون عن حدود الأدب ويشتمون نبي الله:

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) (الأعراف) ورد عليهم نوح بآداب الأنبياء العظمى:قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتٍ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) (الأعراف).

ويستمر نوح في دعوة قومه إلى الله، ساعة بعد ساعة، ويوما بعد يوم، وعاما بعد عام، ومرت الأعوام ونوح يدعو قومه، كان يدعوهم لبلا ونهار، وسرا وجهرا، يضرب لهم الأمثال. ويشرح لهم الآيات ويبين لهم قدرة الله في الكائنات، وكلما دعاهم إلى الله فروا منه، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا عن سماع الحق. واستمر نوح يدعو قومه إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما.

وكان يلاحظ أن عدد المؤمنين لا يزيد، بينما يزيد عدد الكافرين، وحين نوح غير أنه لم يفقد الأمل، وظل يدعو قومه ويجادلهم، وظل قومه على الكبرياء والكفر والتبجح، وحين نوح على قومه، لكنه لم يبلغ درجة اليأس، ظل محتفظا بالأمل طوال 950 سنة. ويبدو أن أعمار الناس قبل الطوفان كانت طويلة، وربما يكون هذا العمر الطويل لنوح معجزة خاصة له.

وجاء يوم أوحى الله إليه، أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. أوحى الله إليه ألا يحزن عليهم. ساعتها دعا نوح علي الكافرين بالهالك: وَقَالَ نُوْحٌ رَبِّ لَ تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مَنْ الْكَافِرِينَ ذُبَارًا (26) (نوح). وبرر نوح دعوته بقوله: إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَطْلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (26) (نوح)

الطوفان

ثم أصدر الله تعالى حكمه على الكافرين بالطوفان، أخبر الله تعالى عبده نوحا أنه

سيصنع سفينة (يَاغِيثُنَا وَوَحْيُنَا) أي يعلم الله وتعليمه، وعلى مرأى منه وطبقا لتوجيهاته ومساعدة الملائكة، أصدر الله تعالى أمره إلى نوح: (وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) يغرق الله الذين ظلموا مهما كانت أهميتهم أو قربانهم للنبي، وينهي الله نبيه أن يخاطبه أو يتوسل له.

وبدأ نوح يغرس الشجر ويزرعه ليصنع منه السفينة. انتظر سنوات، ثم قطع ما زرعه، وبدأ نجارته، كانت سفينة عظيمة الطول والارتفاع والمخانة، وقد اختلف المفسرون في حجمها، وهيئتها، وعدد طبقاتها، ومدة عملها، المكان الذي عملت فيه، ومقدار طولها، وعرضها، على أقوال متعارضة لم يصح منها شيء.. وقال الفخر الرازي في هذا كله: أعلم أن هذه المباحث لا تعجبني، لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلا، نحن نتفق مع الرازي في مقولته هذه، فنحن لا نعرف عن حقيقة هذه السفينة إلا ما حدثنا الله به، تجاوز الله تعالى هذه التفصيلات التي لا أهمية لها، إلى مضمون القصة ومعزاها المهم.

بناء السفينة

بدأ نوح يبني السفينة، ويمر عليه الكفار فيرونه منهكما في صنع السفينة، والجفاف سائده، وليست هناك أنهار قريبة أو بحار. كيف ستجري هذه السفينة إذن يا نوح؟ هل ستجري على الأرض؟ أين الماء الذي يمكن أن تسبح فيه سفينتك؟ لقد جن نوح، وترتفع ضحكات الكافرين وترداد سخريتهم من نوح، وكانوا يسخرون منه قائلين: صرت نجارا بعد أن كنت نبيا! إن قمة الصراخ في قصة نوح تتجلى في هذه المساحة الزمنية، إن الباطل يسخر من الحق، يضحك عليه طويلا، منصورا أن الدنيا ملكه، وأن الأمن لخصيبه، وأن العذاب غير واقع،

غير أن هذا كله مؤقت بموع حلول الطوفان. عندئذ يسخر المؤمنون من الكافرين، وتكون سخريتهم هي الحق.

انتهى صنع السفينة، وجلس نوح ينتظر أمر الله، أوحى الله إلى نوح أنه إذا فار التتور هذا علامة على بدء الطوفان. قيل في تفسير التتور أنه بركان في المنطقة، وقيل أن القرن الكائن في بيت نوح، إذا خرج منه الماء وفار كان هذا أمرا لنوح بالحركة.

فار التتور

وجاء اليوم الرهيب، فار التتور. وأسرع نوح يفتح سفينته ويدعو المؤمنين به، وهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، حمل نوح إلى السفينة من كل حيوان وطيرو وحش زوجين اثنين، بقرا وثورا، فيلا وفيلة، عصفورا وعصفور، نمرا ونمرة، إلى آخر المخلوقات، كان نوح قد صنع أقفاصا للوحوش وهو يصنع السفينة.

وساق جبريل عليه السلام أمامه من كل زوجين اثنين، لضمان بقاء نوع الحيوان والطيرو على الأرض، وهذا معناه أن الطوفان أغرق الأرض كلها، فلو لا ذلك ما كان هناك معنى لحمل هذه الأنواع من الحيوان والطيرو، وبدأ صعود السفينة، صعدت الحيوانات والوحوش والطيور، وصعد من آمن بنوح، وكان عدد المؤمن قليلا.

ول تكن زوجة نوح مؤمنة به فلم تصعد، وكان أحد أبنائه يخفي كفره ويبيدي الإيمان أمام نوح، فلم يصعدو هو الآخر. وكانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرى، فلم تصعد، وصعد المؤمنون.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا.ارتفعت المياه من فتحات الأرض. انهمرت من السماء أمطارا غزيرة بكميات لم تر مثلها الأرض، فالتقت الفتتان، وعلى ما يبدو ستبقيان مستقبلاً.

قيام الليل

يقدم محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي،

في كتابه، بحثاً شاملاً عن قيام الليل، في ضوء

التصوص الشرعية من الكتاب والسنة.يتطرق

في كتابه الى مشروعية قيام الليل والحث عليه، وفصله، وهدى النبي (ص) والصحابية

والتابعين في قيام الليل.كما يتناول الآداب

والأحكام والأسباب الميسرة لقيامه، ويفرد باباً

لحديث عن فوائد وآثار قيام الليل.

أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة، فقدت البحار هدونها، وانفجرت أمواجها تجور على اليابسة، وتكتسح الأرض، وغرقت الكرة الأرضية للمرة

الأولى في المياه. ارتفعت المياه أعلى من الناس، تجاوزت قمم الأشجار، وقمم الجبال، وغطت سطح الأرض كله. وفي بداية الطوفان نادى نوح ابنه، كان ابنه يقف بمعزل منه، ويحكي لنا المولى عز وجل الحوار القصير الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه قبل أن يحول بينهما موج فجأة.

ابن نوح

نادى نوح ابنه قائلا: يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ، ورد الابن عليه: قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، عاد نوح بخاطبه: قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ، وانتهى الحوار بين نوح وابنه:وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ

واستمر الطوفان، استمر يحمل سفينة نوح. بعد ساعات من بدايته، كانت كل عين تطرف على الأرض قد هلكت غرقا. لم يعد باقيا من الحياة والأحياء غير هذا الجزء الخشبي من سفينة نوح، وهو ينطوي على الخلاصة المؤمنة من أهل الأرض. وأنواع الحيوانات والطيور التي اختيرت بعناية.

ومن الصعب اليوم تصور هول الطوفان أو عظلمته، كان شيئا مروعا يدل على قدرة الخالق. كانت السفينة تجري بهم في موج كالجبال، ويعتقد بعض العلماء الجيولوجيا اليوم إن انفصال القارات وتشكل الأرض في صورتها الحالية، قد قعا نتيجة طوفان قديم جبار، ثارت فيه المياه ثورة غير مفهومة. حتى غطت سطح الجزء اليابس من الأرض، وان رفعت فيه قيعان المحيطات ووقع فيه ما نستطيع تسميته بالثورة الجغرافية.

استمر طوفان نوح زمنا لا نعرف مقداره، ثم صدر الأمر الإلهي إلى السماء أن تكف عن الأمطار، وإلى الأرض أن تستقر وتبتلع الماء، وإلى أخشاب السفينة أن ترسو على الجودي، وهو اسم مكان قديم يقال أنه جبل في العراق. طهر الطوفان الأرض وغسلها. قال تعالى في

سورة (هود):

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي وُعْيَضِ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ لُفُؤِمِ الْفُلِّدِينَ (44) (هود). لم يكن نوح يعرف حتى هذه اللحظة أن النجاة باللجوء إلى جبل. وكان الموج قد أنهى حوارهما قبل أن يتم، فلم يعرف نوح حظ ابنه من الإيمان. تحركت في قلب الأب عواطف الأبوة. قال تعالى في سورة (هود):وَنَادَى نُوْحٌ رَبَّهُ فَعَلَّامٌ رَبِّ أَنْزِلْنِي بِرَحْمَتِكَ إِلَى أَرْضٍ مَعْرُوفَةٍ (45) (هود).

أراد نوح أن يقول لله أن ابنه من أهله المؤمنين، وقد وعده الله بنجاة أهله المؤمنين، قال الله سبحانه وتعالى، مطلعا نوحا على حقيقة ابنه للمرة الأولى: يَا نُوْحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُسَآئِلْهُ لِمَ لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46) (هود).

واستغفر نوح ربه وتاب إليه ورحمه الله وأمره أن يهبط من السفينة محاطا ببركة الله وورعائه، وهبط نوح من سفينته، أطلق سراح الطيور والوحش ففرقت في الأرض، نزل المؤمنون بعد ذلك، ولا يحكي لنا القرآن الكريم قصة من آمن مع نوح بعد نجابتهم من الطوفان.

فتاوى

هل يجوز جمع الشفع والوتر في صلاة واحدة؟

صلاة واحدة؟

ورد سؤال إلى دار الإفتاء حول جواز جمع الشفع والوتر في صلاة واحدة، وأجاب الإفتاء: إذا أوتر الإنسان بثلاث، فيجوز أن يصليها على وجهين. وذلك عن طريق جمعها جميعاً في تشهد واحد فيصلي الثلاث ركعات جميعاً في تشهد واحد، وتسليم واحد، أو أن يصلي ركعتين ويتشهد ويسلم، ثم يصلي الثالثة.

وأفادت الإفتاء: إذا أوتر بخمس فإن الأفضل أن يسردها جميعاً ويتشهد في الخامسة ويسلم، وإذا أوتر بسبع فذلك يسردها جميعاً ويتشهد في السابعة ويسلم، وإذا أوتر بتسع سردها جميعاً لكنه يتشهد بعد الثالثة ولا يسلم، ثم يقوم فيأتي بالتسعة ويسلم. أما إذا أوتر بإحدى عشرة فإنه يسلم من كل ركعتين هكذا جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

استقبل المسلمون في العالم شهر رمضان، أكثر الشهور قدسية، هذا العام، في ظروف استثنائية، غيرت بشكل غير مسبوق، مظاهر الحياة العامة والاختلاط بين الناس.

التغييرات الكبيرة التي لحقت بالشهر الفضيل بسبب تفشي فيروس كورونا، وإعلان حظر التجوال في كثير من دول الخليج، لم تقتصر فقط على الصلوات والعبادات والعمرة، بل امتدت إلى الزيارات العائلية واللقاءات التي اعتادها المواطنون في دول الخليج. وكثير ما يشغل بال المواطنين في دول الخليج بشكل خاص، والعرب بشكل عام، كيفية قضاء شهر رمضان، وهو ما يجعلنا نضع أسماء عدد من الكتب التي قد تساعد في تجاوز صعوبة الحجز المنزلي خلال الشهر الكريم، إلى جانب قراءة القرآن الكريم.

في مجالس شهر رمضان

هذا الكتاب عبارة عن ثلاثين مجلساً، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ولا يتحدث فيه عن الصيام وأحكامه ومقاصده فقط، بل يتحدث عن أمور إضافية تتعلق باخلاق المسلم وعبادته داخل وخارج شهر رمضان المبارك، كما يتحدث في الجنة والنار.

الكتاب طبع أكثر من مرة، لكن النسخة التي سنزودكم بها هي النسخة التي أدخلت عليها التعديلات، وتمت إضافة ما اعتبره الشيخ يستحق الإضافة وحذف ما يستغني عنه.



السؤال الخائر

هو كتاب للفيلسوف والطبيب المصري المرحوم مصطفى محمود، ويستعرض فيه عديداً من الأسئلة في المجالات المختلفة ويحاول الإجابة عنها. والكتاب مقسم إلى تسعة مقالات، تطرح عديداً من الأسئلة، ويحاول مصطفى محمود مناقشتها.